تعقيب على مراجعة كتاب راشد الخلاوي

اطلعت على ما نشر في مجلة الدارة، العدد ٤، السنة ٣٦ (شوال ١٤٣١هـ)، بقلم الأستاذ علي بن سالم الصيخان، تحت عنوان: "مراجعة كتاب راشد الخلاوي شاعر القرن الثامن الهجري". وهذا تعقيبي على ذلك إيضاحًا للحقيقة أمام قراء مجلتكم الغراء، خاصة أن منهم من لم يطلع على الكتاب.

إن من الخلل في مراجعة الكتب عدم استيعاب المراجع جميع الأدلة الواردة في الكتاب، والربط بين نتائجها، وتحميل النتائج على دليل واحد فقط؛ فقد أخطأ الأخ المراجع في فهمه واستيعابه، ومن ثم تجاهل الأدلة الأخرى، وسيتبين معنا ذلك فيما يلي:

يقول علي الصيخان: "..ألا يغفل الباحث الدراسات السابقة عن الموضوع المدروس، بل يعقد لها فصلاً ... خصوصًا إذا كانت تلك الدراسات السابقة في موضوع هذا الكتاب قد صدرت عن قامات كبيرة في الأدب الشعبي، كالشيخ عبدالله بن خميس، والشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل ..".

أقول: لم تكن هناك دراسات علمية جادة وكثيرة عن الخلاوي حتى يعقد لها فصل مستقل، وقد ناقشت أهم النتائج التي توصل إليها الشيخان في مقدمة الكتاب(١)، وفي مواضع متعددة من الكتاب(٢)، ثم إن ابن خميس اعتمد في

---

(١) الحافي، سعد عبدالله، راشد الخلاوي شاعر القرن الثامن الهجري، ٢٠١٠م، ص٧-١١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨ -٣٠، ٧١ - ٧٣، ٧٦ - ٧٧.

تحديد نسب الخلاوي وعصره، على رواية شفوية ظنية أن راشد الخلاوي من أهل القرن الثاني عشر الهجري، وعلى شهادات انتساب لبني هاجر من آل راشد الذين أنكروا بعد ذلك أن يكون جدهم هو راشد الخلاوي وهم أصحاب الشأن (وفي ملحق الكتاب صور شهادات منهم)(٣)، أما أبو عبدالرحمن ابن عقيل فقد قال إن راشد الخلاوي عاش أكثر القرن العاشر وقليلاً من القرن الحادي عشر، معتمدًا على ما جاء في كتاب "عشائر العراق" للعزاوي من أن الأجود أصلهم من بني عقيل إخوة المنتفق، وكانت الأحساء بيدهم في أوائل المائة التاسعة، وأن جدهم أجود بن زامل العقيلي الجبري، والرئاسة فيهم في آل مناع، وقد ناقشت ذلك وفنّدت أدلتهم في الكتاب، وذكرت أن قصيدة مبارك الأعرج (من أهل القرن العاشر) تعتبر وثيقة تتضمن دلالة تاريخية على أن راشد الخلاوي عاش قبل القرن العاشر الهجري، وأن هذا البيت من القصيدة:

وصادت من قبلي منيع بن سالم
صحيب الخلاوي صادقٍ في وعودها

يتضمن دلالة مهمة تنفي ما ذهب إليه الشيخان، وتلغي كل اجتهاد يقول إن الخلاوي عاش بعد القرن العاشر(٤). فهل يعد هذا إغفالاً مني يوجب تهمة التقصير؟! أم أن الأخ الكريم تغافل عن ذلك؟!

---

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٢ -٢٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٠-١٣.

يقول علي الصيخان: "وجدت أن الفكرة الأساسية التي بنى عليها كتابه هو أنه وجد ترجمة أحد الأعلام عند الحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ) في كتابه "الضوء اللامع" وهو محمد بن راشد الخلاوي العجلاني، المتوفى عام (٨٥٧هـ)، فظن أنه ابنٌ للشاعر راشد الخلاوي، ورتب على ذلك أن راشد الخلاوي من أهل القرن الثامن الهجري وأول القرن التاسع..".

أقول: لم أقل بهذا أبدًا!! بل الصحيح أن فكرة الكتاب الأساسية تنطلق من دلالة قصيدة مبارك الأعرج على أن الخلاوي عاش قبل منتصف القرن العاشر، ومن ثم تتبعت الأدلة مبتدأً بالعصر الأقرب، وهو عصر دولة بني جبر العقيليين في القرنين التاسع والعاشر الهجري، وصولاً إلى دولة بني عصفور العقيليين في القرنين الثامن والسابع الهجري، ودراسة جميع الأدلة والقرائن(٥) . وقد ناقشتها في خمس وعشرين فقرة، وجميعها مع تنوعها يتكامل بعضها مع بعض، وتشير إلى أن الخلاوي عاش خلال القرن الثامن ومطلع التاسع، ولم أحصرها على هذا الدليل لوحده. ثم لنفترض أني لم أورد هذه الترجمة فلن يتغير شيء في إثبات الأدلة الأخرى لعصر الخلاوي، وأنه من نزار، ويلتقي مع منيع العقيلي في جد أدنى.

يقول علي الصيخان: "قول المؤلف بوقوع تحريف في أسماء بعض الأعلام الذين تناولهم في كتابه دون أن يقدم الدليل الصحيح على وقوع ذلك التحريف، كقوله إن (رواء بن بدران) شيخ الدواسر اسمه الحقيقي زياد بن بدران..".

---

(٥) المرجع السابق، ص١٣.

أقول: هناك فرق بين التحريف والتصحيف، ثم إن ما أوردته في الكتاب هو: "جاء عند ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، المتوفى سنة ٧٤٩هـ: (الدواسر وشيخهم رواء ابن بدران)، وأعتقد أن (رواء) مصحفة عن (زياد)"(٦) ويؤكد ذلك ما يلي:

١ - أنه تواتر عند الرواة بيتا شعر ينسبان لراشد الخلاوي يذكر فيهما عامر بن بدران الملقب بالضمين، وهما:

خلت نجد ما يلّقى بها كاسب الثنا
كود الضمين اللي بوادي الدواسر
ويذكر بالصوب الجنوبي خير
شقا حرد الأيدي مكرم الضيف ناصر

٢ - ورد في الفترة الزمنية نفسها في منتصف القرن الثامن الهجري ذكر عامر بن زياد بن بدران في قصيدة الضيغمي، التي منها:

ضفنا وضيّفنا ابن بدران عامر
حييت يا غمرٍ فلاحه باد
فلا ظلٍ إلا ظل غارٍ من الصفا
ولا شيخٍ إلا عامر بن زياد

فوالد عامر هو زياد ابن بدرانٍ وعاش في القرن الثامن الهجري خاصة إذا علمنا أن عامرًا وقت مرور الضياغم به

---

(٦) المرجع السابق، ص٥٢.

كان شابًا؛ بدلالة قول الشاعر (غمرٍ فلاحه باد)، وقد أحلت إلى مقال نشر لي في جريدة الرياض توسعت فيه في تناول ذلك وكانت هذه نتيجته(٧).

٣ - أن هذه النتيجة متفقة مع الأدلة كافة التي تشير إلى أن الخلاوي عاش في القرن الثامن، خاصة وقد وجدنا إشارة للمنيعي في قصيدة تنسب لعامر بن زياد بن بدران، يقول فيها:

يقول ابن بدران مسقي حريبه
مرٍ على كبده تزايد وقايده
كب الغييثي يا (المنيعي) وخلهم
ترى حربهم ما ينلقي منه فايدة

والخلاوي في أشعاره دائمًا ما يخاطب منيع ابن سالم بـ (المنيعي) في أكثر من موضع كقوله:

عكفنا على حب (المنيعي) وقومه
والروح منا في مراضيه نايبه

٤ - أنه لم يعرف في سلسلة النسب التي تناقلها الآباء عن الأجداد في العوائل التي تتصل بـ"ابن بدران" من اسمه "رواء" بل نجد "زياد".

يقول علي الصيخان: "تمحله في تفسير بعض الكلمات ككلمة (الغراميل).. في أحد الأبيات.. وتفسيره لها

---

(٧) الحافي، سعد، "القصيدة التي اختلف الرواة في شاعرها"، جريدة الرياض، العدد١٤٢٧٨، ٢٠٠٧م.

بأنها تعني (الصراغيل) نسبةً للسلغريين حكام جزيرة هرمز، وقوله إن زيد .. هو والد قاضي أجود بن زامل العُقيلي علي بن زيد، وقوله إن كلمة صاحبه تعني سيف بن جبر أو زامل بن جبر".

أقول: كيف يجزم الصيخان باستحالة ذلك دون إيراد الدليل!! فالبيت يقول فيه الخلاوي:

ألا قبح الله (الغراميل) كلها
وأخزى لزيد ابن الزواني وصاحبه

فكلمة (الغراميل) جمع للمفرد (غرمول) وهو المرتفع الرملي، والسياق المعنوي للبيت ينفي ورود مثل هذا المعنى، ولا شك أنها مصحفة، حيث إن موقعها في سياق البيت يدل على أسماء أشخاص أو قبيلة، ولم أجد ما يحتمل صحته فيما قبل القرن العاشر سوى (الصراغيل)، وهم حكام هرمز في عهد أولاد مانع بن عصفور، وقد تساءلت في الكتاب عدة تساؤلات، تؤكد جميعها أنهم هم من عناهم الخلاوي، ونختصر منها ما يلي:

١ - أن الصراغيل حكام هرمز كان لهم أطماع في البحرين والقطيف، وقد استولوا عليها في فترات زمنية متفرقة، وكان لهم معارك مع بني عامر الذين قيادتهم في أولاد مانع بن عصفور، ثم نجد أن أجود بن جبر قد تحالف معهم فيما بعد على أن يدفع لهم جزية؛ فهذا يؤكد حضور (الصراغيل) القوي في مسرح الأحداث بهذا

القبح الذي صوره الخلاوي، الذي يمتد من القرن السابع الهجري عندما قتلوا أكبر شيوخ بني عامر أبا عاصم بن سرحان بن محمد(٨).

٢ - أن قاضي أجود بن زامل هو (علي بن زيد)، وربما يكون هو شاعر الدولة الجبرية، المعروف بـ (ابن زيد)، خاصة أن قصائده تدل على تمتعه بنصيب وافر من العلم، وقرب لغتها من الفصحى، ومن ثم احتمال أن يكون والده (زيد) قد صحب سيفًا أو زاملاً، حيث إن بروز الجبريين في الأحداث السياسية كان على يد (سيف بن حسين بن جبر) الذي قتل إبراهيم بن ناصر بن جروان عام٨٢٠هـ، وأسس جامعًا يعرف باسمه بحي الكوت في مدينة الهفوف، وأن أخاه زامل بن حسين هو الذي تولى مطاردة الأعراب الذين تكررت غاراتهم على الأحساء، ويؤكد ذلك ابن بسام بذكر غزوات زامل بن جبر من عام ٨٥٠ حتى عام ٨٦٦هـ تقريبًا(٩).

٣- أن الشاعر ابن زيد ذكر في قصائده آل مانع، وأنهم كانوا في بساتين مرغم بالأحساء، ومن ثم انتقلوا إلى شمال الجزيرة بعد تنازع بينهم وبين بني جبر على السلطة:

تعوض بقعاء عن بساتين مرغم
ولا عادة الاحساء لكم ببلاد

---

(٨) الحافي، راشد الخلاوي، مرجع سابق، ص٣٥-٤٧.

(٩) المرجع السابق، ص٣٦.

وقد ذكر ابن فضل الله العمري في القرن الثامن وفود بني عامر على السلطان المملوكي الناصر قلاوون، وأن الإمرة كانت في أولاد مانع بن عصفور، ثم نجد أن بني عصفور في عام ٧٥٥هـ هاجموا البصرة وهزموا المغول فيها، ومن ثم فإن دولة أولاد مانع ابن عصفور لم تنتهِ باستيلاء بني جروان على الأحساء في عام ٧٠٥هـ، بل يرجح استمرار أولاد مانع بن عصفور على البادية ومنطقة الخرج(١٠) .

يقول علي الصيخان: "لما أورد بيت راشد الخلاوي ضمن قصيدة يمدح بها محمد الربيعي.. وهو:

خفاجيةٍ وأسرارها عامرية
وجا طيب الانساب من كل جانب

فقد فسّر .. أن الشاعر يقصد بهذا البيت أن والدة محمد الربيعي من قبيلة خفاجة، وهو قولٌ غير صحيح" .

أقول: أين الدليل على أن الشاعر لا يقصد والدة الربيعي؟! ولماذا تجاهل البيت السابق لهذا البيت؟! ألم يقل الخلاوي :

من أول جنح الليل ما علقت به
شريق الضحى عند المخاض الكواعب
خفاجيةٍ واسرارها عامرية
وجا طيّب الانساب من كل جانب

---

(١٠) المرجع السابق، ص٣٧.

فالخلاوي يمتدح الربيعي بأن أمه وضعته ليلاً - وتلك في ثقافتهم ميزة - ولم تكن ولادته وقت الضحى، وهي (أيٍ والدته) من خفاجة بني عامر، ومن ثم جاء هذا الوليد أصيلاً طيب النسب من جهة الأب، ومن جهة الأم.

يقول علي الصيخان: "إن كتب التاريخ في القرون الإسلامية الوسيطة تنسب محمد بن حيار وأهل بيته إلى آل فضل، أو يقال لواحدهم الفضلي، أما نسبتهم إلى ربيعة بقولهم الربيعي فلم أجد من ذكر هذه النسبة لهم من علماء التاريخ والتراجم..".

أقول: إن ربيعة بن حازم هو أمير طيء في النصف الأخير من القرن الخامس، ومن بعده أبناؤه فضل ومرا، واستمرت الإمرة في فروعهم، وقد اشتهر الجميع بانتسابهم إلى ربيعة عند المؤرخين، كالحمداني، وابن فضل الله، وابن خلدون، والقلقشندي؛ فيطلق عليهم آل ربيعة، وأن فيهم إمرة عرب الشام، ثم يفصلون في ذلك، ومحمد (نعير) هو ابن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة، ثم إنه إذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر جاز أن ينسب إلى الجميع، فيقال: محمد الفضلي، ومحمد الربيعي، بل إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأدنى.

يقول علي الصيخان: "لم يبين المؤلف منهجه في رصد شعر الخلاوي وجمعه".

أقول: لقد ذكرت بين يدي كل قصيدة أني اعتمدت المصدر وأسميه كأساس في إيراد النص، ومن ثم أقوم بمقارنة الأبيات بما جاء في المصادر الأخرى وأسميها، وعند اختلافها عنها أثبت وأضيف من المصادر الأخرى ما أرى أنه يتم المعنى ولا يخرج عن سياق النص، مع الإشارة إليه في الهوامش.

يقول علي الصيخان: "... النجم عمر بن فهد.. كتابه الحافل "إتحاف الورى بأخبار أم القرى"، يقول: "محمد بن راشد الحلاوي (ضبطها بالحاء المهملة وليست بالخاء المعجمة كما عند السخاوي) العجلاني في يوم الأربعاء تاسع عشر جمادى الآخرة (٨٥٧هـ) بالليث"، كما ترجم له عمر بن فهد في كتابه الآخر وهو "الدر الكمين بذيل العقد الثمين" فقال: محمد بن راشد الخلاوي (ضبطت هنا بالخاء المعجمة) العجلاني ... فتبين لدينا أن السخاوي قد نقل ترجمة محمد بن راشد من كتاب "الدر الكمين" للنجم عمر بن فهد، وليس من كتابه "إتحاف الورى" ... وأما ضبط الاسم هل هو "الحلاوي" أو "الخلاوي" ؟ فأقول : إن السخاوي ناقل -كما صرح - عن أحد كتب ابنِ فهد وهو "الدر الكمين"؛ لذا فهو لم يأتِ بالترجمة استقلالاً من مصدرٍ آخر غير ابن فهد..".

أقول: كيف يجزم الأخ الصيخان بهذا الظن، ثم يحيل إلى نسخة مطبوعة، ولم يطلع على المخطوط الأصل؟!! ثم يجزم بأن السخاوي لم يطلع على "إتحاف الورى" وإنما نقل

عن "الدر الكمين" فقط!! والثابت أن السخاوي وقت مجاورته في مكة المكرمة لم يفارق مكتبة ابن فهد!! فهل كان السخاوي سيجد (الحلاوي) في "إتحاف الورى" ولا ينتبه لهذا الاختلاف؟! بل إن ما جاء عند السخاوي يعتبر ترجيحًا لصحة (الخلاوي) الذي جاء في الدر الكمين وفقًا لما يلي:

١ - أن كتاب "الدر الكمين" للنجم عمر ابن فهد (ت٨٨٥هـ) مختص بترجمة الأعيان، في حين أن "إتحاف الورى" كتاب تاريخي، ولذلك يتميز "الدر الكمين" بتحري المؤلف الدقة في المعلومة عن المترجم له، خاصة الاسم، وقد جاء عنده (الخلاوي) .

٢- تطابق ما جاء في "الدر الكمين" مع ما جاء عند السخاوي في كتاب "الضوء اللامع"، والسخاوي معاصر لابن فهد، ولا شك أنه مطلع على النسخة الأصل بخط النجم عمر ابن فهد (ت٨٨٥هـ)، سواء كان ذلك في كتاب "إتحاف الورى" أو "الدر الكمين"، فلماذا لا يكون ما جاء في "إتحاف الورى" هو (الخلاوي) أيضًا ثم صحف من المتأخرين فيما بعد؟!

٣ - أن كتاب "الضوء اللامع" للسخاوي، الذي جاء فيه (الخلاوي) قد نسخه عبدالعزيز بن عمر ابن فهد (ت٩٢٢هـ)، وكان ذلك في مكتبة ابن فهد بمكة المكرمة عام ٨٨٩هـ وقرأه عبدالعزيز وقابله مع السخاوي، وهذا ما كتبه السخاوي نفسه: "الحمد لله، أنهاه علي قراءة

ومقابلة مفيدًا مجيدًا محررًا وللمحاسن مظهرًا كاتبه الشيخ الإمام الأوحد الهمام المرشد والمحدث المفيد الرحال المسند الحافظ القدوة عبدالعزيز"(١١)، فهل بعد هذا التدقيق قول؟!

٤ - اتفاق الاسم "راشد الخلاوي العجلاني" مع كل الأدلة التي تشير إلى إن راشد الخلاوي عاش في القرن الثامن ومطلع التاسع، ويلتقي مع منيع بن سالم من آل مانع بن عصفور من بني عقيل في جد أدنى هو كعب بن ربيعة، الذي يجمع بني العجلان وبني عقيل.

يقول علي الصيخان: "وفي ختام هذه الملحوظة أقول : لقد ذكر الشيخان عبدالله بن محمد البسام (ت١٣٤٦هـ) صاحب كتاب "تحفة المشتاق"، وصالح بن عثمان القاضي (ت١٣٥١هـ) في أثرين مخطوطين لهما أن وفاة الشاعر راشد الخلاوي كانت في حدود عام ١٠١٠هـ، كما ذكر الشيخ النسابة إبراهيم بن عيسى (ت١٣٤٣هـ) في أحد أوراقه المخطوطة أن راشد الخلاوي من بني هاجر من قحطان..".

أقول: لقد أشرت في الكتاب إلى ما جاء في مخطوط البسام، ومع ذلك فالبسام والقاضي متأخران، وما جاء عندهما لا يعدو أن يكون قولاً ظنيًا، لا يقوم على تحقيق أو إرفاق أدلة، والأهم من ذلك أن دلالة قصيدة مبارك الأعرج تنفي اجتهادهم في تحديد زمن الخلاوي. أما قول العيسى

---

(١١) آل كمال، سليمان صالح، "مكتبة آل ابن فهد ودورها الحضاري"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج٩، ع١، ٢٠٠٣م، ص١٤.

إن الخلاوي من بني هاجر من قحطان، فالعيسى متأخر ولم يورد وجه استدلاله، ثم إن الخلاوي نفسه نفى ذلك حينما انتسب إلى نزار في هذا البيت:

لي في نزارٍ وزرةٍ أكتفي بها
لي في نزار الجود أعلى مناسبه

يقول علي الصيخان: "إن مؤرخي القرن الثامن الهجري قد احتفوا كثيرًا بعرب البحرين من العُقيليين، فترجموا لأعداد ليست بالقليلة منهم؛ فأين هو ذكر منيع بن سالم إن كان ابنًا مباشرًا لهم؟ ... فمن مراجعة هذه الكتب لا نجد أي ذكر لمنيع بن سالم، فهو لم يكن موجودًا في العصر الذي حدده المؤلف الكريم".

أقول: هل المؤرخون هم ورقة الإثبات الوحيدة؟ من لم يذكر عندهم فلا وجود له؟ أو كما قال ليس ابنًا مباشرًا للعقيليين؟! فتلك قاعدة ضعيفة لا يعتمد عليها. وأما الرد على ذلك فيتلخص فيما يلي:

١ - عدم ذكر المؤرخين لمنيع بن سالم ليس حجة في انتفاء وجوده.

٢ - لم يكن هناك حصر من المؤرخين لجميع أسماء أمراء بني عقيل في القرن الثامن أو التاسع حتى نشكك فيمن لم يوجد اسمه، بل كانوا يكتفون بالقول إن الإمرة في أولاد مانع بن عصفور، وإن ذكرت أسماء فهي لا تلغي الإمرة عمن لم يذكر.

٣ - هناك مرجع يعتبر أول من ذكر منيع بن سالم وهو: "تحفة الأزهار وزلال الأنهار" لابن شدقم (كان حيًا ١٠٩٠هـ)، وقد تضمن نصًا لمبارك الأعرج من أهل القرن العاشر دل على أن منيعًا عاش قبل القرن العاشر(١٢).

٤ - أن منيع بن سالم لم يأخذ هذه الشهرة إلا من خلال قصائد راشد الخلاوي، وقد نصت على انتسابه إلى بني عقيل، ويؤكد ذلك الواقع التاريخي لسيطرة بني عقيل خلال القرنين الثامن والتاسع.

يقول علي الصيخان: "ذكر الدكتور عبدالكريم الوهبي .. نقلاً عن وثيقة عثمانية مؤرخة في الأول من رجب من عام ٩٥٩هـ أن في قبيلة العماير القاطنة في شرق جزيرة العرب (القطيف) فرعًا يقال لهم آل مانع. قلت : لعل منيع بن سالم من ذلك الفرع".

أقول: ما من سبب يدعو إلى هذا التمريض الذي ينسب به منيع إلى غير بني عقيل !! بل الصحيح أن آل مانع بن عصفور من آل عميرة من بني قديمة من بني عقيل.

هذا ما لزم إيضاحه. والله ولي التوفيق.

أ. سعد بن عبدالله الحافي

---

(١٢) المدني، ضامن بن شدقم الحسيني، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تحقيق، كامل الجبوري، مج١، ١٩٩٦م، ص٢٩١.